

الخيار الذي حصرت إيران فيه نفسها



تغير. ما لم يتغير هو موقف الكونغرس الأمريكي منها ومن العقوبات التي أقرت في عهد دونالد ترامب. كذلك، لم يتغير نفوذ إسرائيل في الكونغرس. لا شك أن لعبة العصا والجزرة التي تمارسها إيران حاليا في غاية الذكاء والدهاء. ما يمكن أن يعطلها ويجعل منها غير ذات فائدة كونها لعبة قديمة في عالم تغير. ترفض إيران الاعتراف بأن العراق نفسه تغير، بمن في ذلك شعبة العراق الذين تبدل موقف أكثرية منهم ومن غطرسه!

إلى أي حد تبدو الحسابات الإيرانية في محلها؟ قبل كل شيء، هل هناك ما يضمن هزيمة دونالد ترامب أمام جو بايدن؟ لم يفقد ترامب نهائيا الأمل في التغلب على بايدن. هناك سؤال آخر لا يقل أهمية. حتى لو فاز جو بايدن، هل ستعود أيام باراك أوباما الذي اعتبر أن الملف النووي الإيراني يخزل كل مشاكل الشرق الأوسط وأزماته؟ ما يغيب عن إيران في كل حساباتها أن عالم ما بعد هبوط سعر برميل النفط ووباء كورونا وتغير وإن الخليج العربي نفسه

إسرائيل. صحيح أنه لا يمكن الفصل بين ما يجري في لبنان وبين الانهيار الاقتصادي والسياسي الذي يعاني منه البلد، وهو انهيار زاد طينته بلة بعد تفجير مرفأ بيروت، لكن الصحيح أيضا أن قرار الذهاب إلى التفاوض مع إسرائيل لم يكن ممكنا لو لم تدفع إيران في اتجاهه. أظهرت إيران بكل بساطة أن "الثنائي" الشيعي في لبنان يستطيع القيام مقام كل لبنان، وأنه الطرف الوحيد القادر على الذهاب إلى مفاوضات مع إسرائيل بغطاء منها وليس من أي طرف آخر عربي أو غير عربي.

"المنطقة الخضراء" في العاصمة. أخرج ذلك حكومة مصطفى الكاظمي التي باتت تجد أمامها في كل وقت "عناصر غير منضبطة"، تنتمي إلى "الحشد الشعبي" من دون أن تنتمي إليه. هناك مجموعات مسلحة مستعدة لقصص أهداف أميركية في العراق وذلك بغية تأكيد الحضور الإيراني. أكثر من ذلك، جاءت المجزرة التي وقعت في محافظة صلاح الدين ذات الأثرية السننية لتعطي فكرة عن تمدد "الحشد" في كل أنحاء العراق وقدرته على فرض الأمن على طريقته في كل محافظة من المحافظات العراقية بغض النظر عن تركيبها السكانية.

في اليمن، كان تبادل للأسرى بين الحوثيين (أنصار الله) و"الشريعة"، التي على رأسها رئيس انتقالي اسمه عبدربه منصور هادي، دليلا على وجود كيانين سياسيين في هذا البلد. أحد الكيانين تابع لإيران، يسيطر على صنعاء ومحيطها وعلى الحديدة ومينائها وعلى جزء من تعز، وهو في غاية التماسك، أما الكيان الآخر، فهو كيان مضعض مخترق من الإخوان المسلمين لا مكان له حتى في عدن التي كان يفترض أن تكون عاصمة مؤقتة لليمن في ظل إمساك الحوثيين بصنعاء. فوق ذلك كله، أرسلت إيران سفيرا إلى صنعاء يدعى حسن إيرلو. سيقدّم إيرلو، المعروف بأنه من "الحرس الثوري" ومن "فيلق القدس" تحديدا، أوراق اعتمادته إلى من يعتبره الحوثيون رئيسا للدولة، أي مهدي المشاط بصفتة كونه "رئيس المجلس السياسي الأعلى". تستخدم إيران العصا في العراق واليمن، فيما تكشف في لبنان وجهها آخر يتمثل في المفاوضات مع

تكون في بغداد قوة مهيمية غير قوة "الحشد"، الذي يعتبر الممثل الشرعي لإيران وتجربتها المرتكزة على "الحرس الثوري"، أداة "المرشد" في السيطرة، عبر شركاته وعسكره، على الاقتصاد الإيراني وبالتالي على القرار السياسي. كل الأمور الأخرى في إيران ليست سوى تفاصيل، بما في ذلك الانتخابات التشريعية أو انتخاب رئيس للجمهورية مرة كل أربع سنوات.

إيران تبدو بصدد تقديم أوراق اعتمادها إلى إدارة ديمقراطية، لم تبصر النور بعد برئاسة جو بايدن مستخدمة العصا والجزرة في الوقت ذاته. العصا والجزرة في العراق واليمن والجزرة في لبنان تقوم بعراضات في بغداد وترسل سفيرا إلى دولة الحوثيين في صنعاء.. وتوفر ضوءا أخضر لـ"حزب الله" كي يسمح بمفاوضات لبنانية - إسرائيلية في شأن الحدود البحرية.

لم تكتف إيران بإبداء رغبتها في إخراج الأكراد من بغداد سياسيا، بل أرسلت في الوقت ذاته رسالة واضحة أخرى إلى رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي. فحوى الرسالة أن اتفاق سنجان الذي عقده مع الأكراد غير مقبول إيرانيا، وعندما يتعلق الأمر بقرارات كبيرة في مستوى اتفاق سنجان بين الحكومة العراقية والقيادة الكردية في أربيل، لا بد من العودة إلى طهران. لم تقتصر الهجمة الإيرانية على الوجود الكردي في بغداد. تعدت ذلك إلى تهديد مقرات البعثات الدبلوماسية، بما في ذلك السفارة الأميركية، في



خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

في ظل اقتراب موعد الانتخابات الرئاسية الأميركية في الثالث من تشرين الثاني - نوفمبر المقبل، يبدو الرهان الإيراني على تغيير كبير في واشنطن قائما أكثر من أي وقت. ليس ما يوحي بوجود خيار آخر لدى "الجمهورية الإسلامية" التي اكتشفت أخيرا مدى فعالية العقوبات الأميركية، خصوصا عندما تكون هناك إدارة جديّة تعرف تماما كيف تستخدم هذه العقوبات.

تبدو إيران بصدد تقديم أوراق اعتمادها إلى إدارة ديمقراطية، لم تبصر النور بعد، برئاسة جو بايدن مستخدمة العصا والجزرة في الوقت ذاته. العصا والجزرة في العراق واليمن والجزرة في لبنان تقوم بعراضات في بغداد وترسل سفيرا إلى دولة الحوثيين في صنعاء.. وتوفر ضوءا أخضر لـ"حزب الله" كي يسمح بمفاوضات لبنانية - إسرائيلية في شأن الحدود البحرية.

كانت لافتة في الأيام القليلة الماضية تلك الهجمة الإيرانية في العراق. كانت هجمة على كل الجبهات استهدفت تأكيد أن القرار العراقي في طهران وليس في أي مكان آخر وأن بغداد تحت السيطرة الكاملة لـ"الجمهورية الإسلامية". لذلك، استهدف "الحشد الشعبي"، الذي ليس سوى كتلة للمليشيات المذهبية العراقية التابعة لإيران، مقرا للحزب الديمقراطي الكردستاني. لم يكتف "الحشد" بالبعث بالقر، بل رفع علم "الحشد" عليه. تبدو الرسالة واضحة كل الوضوح. ممنوع أن

التجاذب الروسي - التركي من شمال سوريا إلى جنوب القوقاز

العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها

أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة العقبوي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 - 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

بقوة الاحتفاظ بالنفوذ في "جيب إدلب" والمناطق التي دخلتها ضمن عمليات "درع الفرات" في 2016 و"غصن الزيتون" في 2015 و"نوع السلام" في 2019 وعينها دوما على نفوذ "قوات سوريا الديمقراطية" في شرق الفرات وقد حاول اردوغان مرارا الاستفادة من التناقص الأمريكي - الروسي لتسجيل نقاط، لكن هامش مناوئته لا يبدو كبيرا. بعد تمدد اهتمامها صوب جبال القوقاز، وجدت تركيا نفسها مضطرة إلى إعادة ترتيب أوراقها في الشمال السوري وسحب نقاط مراقبتها المحاصرة من النظام وخصوصا في مورك شمال حماه.

وتأتي هذه الخطوة الاستباقية قبل هجوم منتظر ترعاها روسيا (ربما ضمن ردود الفعل على حرب ناغورني قره باغ) في إدلب والسعي لحصر الفصائل والجهايين في شريط ضيق بالقرب من الحدود التركية. ومن الاحتمالات الأخرى شن اردوغان لهجوم جديد على الفصائل الكردية ضمن عملياته المنهجية في الشماليين السوري والعراقي.

يبدو مبكرا إجراء جرد لحصاد التجاذب الروسي - التركي ونتائجه الاستراتيجية. لكن دعوة روسيا بإبصار في 23 أكتوبر إلى إخلاء ناغورني قره باغ من المرتكزة برن كجرس إنذار في وجه تركيا، لأن موسكو التي وضعت ضمن استراتيجيتها السورية إبعاد الخطر الإسلامي السياسي وعدواه في جوارها وأراضيها، ها هي تكتشف أن صديقها وغريمها اردوغان أدخل "الأممية الإسلامية" إلى حديثها

الخلفية. ويمكن الإشارة إلى أن النجاح التكتيكي الواضح للطائرات التركية من دون طيار في ليبيا وسوريا وناغورني قره باغ يشكل غمزا من قناة التفوق التكنولوجي وتطور الصناعة العسكرية التركية في سياق تنافس موسكو وأنقرة. ولذا لن تسمح موسكو طويلا بنشأة وضع غير مريح على الأرض بحرمنها من لعب الدور الحاسم بين أرمينيا وأذربيجان. هكذا يبدو التنافس محموميا بين روسيا وتركيا لكنه محكوم بسقف قواعد الجوار وموازين القوى العسكرية الدقيقة. وسيفرض التفاوض نفسه بين القيصر والسلطان. لكن مسعى تركيا للاقتداء بموسكو والانتقام من عثرات تاريخها سيصطدم أكثر فأكثر بالمشاريع الإمبراطورية الأخرى من روسيا وإيرانية وصينية وكذلك بمواقف أوروبية أكثر جراءة، وبصفاة النهاية الأميركية في الوقت المناسب.

إذ لا تسمح علاقة القوى المتوازنة نسبيا بين أرمينيا وأذربيجان لأي من الطرفين المتحاربين بنش حرب خاطفة منتصرة ضد أراضي الطرف الآخر، ناهيك عن طبيعة منطقة ناغورني قره باغ الجبلية للغاية والتي يمكن للأمن الدفاع عنها. ولذا على الأرجح أن ينتهي الأمر إلى حرب استنزاف، ما يترك الوقت للرئيسين التركي والروسي للتفاوض، ومقايضة اردوغان لكف الارتباط عن جنوب القوقاز مقابل المسامحة مع الكرملين في ملفات أخرى من الحصول على صمته أو تغاضيه.

يجدر التذكير أنه خلال مواجهات ما بعد 1994 وخاصة في 2014 و2016 في الإقليم المتنازع عليه، كانت روسيا اللاعب الأول وتركيا بعيدة عن مواقع التأثير. لكن ما حصل بعد 2012 في سوريا وتزامن مع تركيز سلطتي بوتين وأردوغان أخذ يخلط الأوراق بين الجارين الكبارين. حيث إن "الانتقام الروسي من التاريخ" انطلاقا من سوريا أحدث تدهورا كبيرا للعلاقة مع أنقرة إثر إسقاط تركيا مقاتلة روسية في سوريا في نوفمبر. لكن بعد محاولة الانقلاب في تركيا في صيف 2016 وسقوط مدينة حلب بيد النظام وقيادة روسية، اتخذ الرئيس الروسي قرارا باحتواء تركيا بدل مجابهتها وقاد ذلك نحو تدشين حقبة من علاقات وثيقة ومتباينة بين موسكو وأنقرة في أن معا. في شمال سوريا تفادت موسكو الصدام الواسع مع أنقرة وحاولت تركيا

وروسيا القلقة أيضا من تسلل وتمركز الجماعات الإسلامية المتطرفة. ولهذا لجأ حكم "العدالة والتنمية" إلى أساليب القوة الناعمة عبر الأبعاد الثقافية والتربوية والإعلامية والمسلمات الناطقة بالتركية، وصولا إلى تأسيس "مجلس التعاون للدول الناطقة بالتركية" في العام 2009، من دون بلورة سياسة صدامية مع روسيا في آسيا الوسطى. لكن في جنوب القوقاز تحديدا كان موقف تركيا أكثر هجومية لقربه الجغرافي ولتقل المسألة الأرمينية على التاريخ التركي.

الحرص على عدم تجاوز الخطوط الحمراء بين موسكو وأنقرة مرده إلى التوازنات الدقيقة وحجم المخاطر والمقاربة التاريخية للعلاقة بين الجانبين في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي

بالرغم من هذا الجهد الأردوغاني من الواضح أنه بعد حوالي شهر على هجوم أذربيجان والاستعانة بالخبرات التركية والمقاتلين الأجانب، لم يحصل تغيير كبير أو تقدم حاسم لقوات باكو

تركيا في سوريا، ولم تنجح أنقرة في إنهاء السيطرة الكردية على شرق الفرات في سوريا، وأخيرا اضطرت تركيا إلى التراجع التكتيكي في شرق البحر المتوسط تحت ضغط ثلاثي من الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي والأوروبيين. لذلك قرر الرئيس التركي تحويل الانتظار أو تشجيع إنكفاء النزاع الأرميني - الأذري والتلويح بالفرازة الأرمينية كأفضل وسيلة لتأجيج الشعور القومي التركي والإسلامي ضد أرمينيا المسيحية. ومن ناحية الأسلوب هذه المرة، تبني اردوغان النهج غير المباشر من خلال استهداف ناغورني قره باغ، بالوكالة، دون المخاطرة بهجوم مباشر على الأراضي الأرمينية مما كان سيؤدي بلا شك إلى رد مباشر من روسيا التي ترتبط مع أرمينيا بمعاهدة دفاعية. وهذا الحرص على عدم تجاوز

الخطوط الحمراء بين موسكو وأنقرة مرده إلى التوازنات الدقيقة وحجم المخاطر والمقاربة التاريخية للعلاقة بين الجانبين. في مرحلة ما بعد الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي، تم ضبط الصراعات حول الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى نظرا للمصالح المشتركة ومموم المرحلة الانتقالية. لكن يقظة "القومية التركية" والدعوات إلى تحالف تركي مع دول مستقلة حديثا وناطقة بالتركية، خصوصا أذربيجان وكازاخستان وتركمناستان وأوزبكستان، قابلهما تحذير موسكو من انهيار العلاقات الأمنية والاقتصادية بين الدول الجديدة

الانتخابي. في أواخر سبتمبر الماضي، شن الرئيس الأذري إلهام علييف بتشجيع من اردوغان هجوما لاستعادة ناغورني قره باغ الإقليم الذي خسرت باكو



د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية المركز
الدراسي للدراسات الجيوبوليتيكية - باريس

يعتمد الرئيس التركي رجب طيب اردوغان شعار "العالم أكبر من خمسة" (في إشارة إلى الأعضاء الدائمين الكبار في مجلس الأمن الدولي)، وينطلق من الإرث العثماني والنهج الأتاتوركي لتصحيح مسارات تاريخية من المشرق العربي والبحر الأبيض المتوسط إلى آسيا الوسطى. وغالبا ما تتنافس تركيا مع روسيا أو تتواجه معها على أكثر من مسرح في هذه الرقعة المخترقة بالنزاعات وخاصة ما يتصل بجوار تركيا القريب في شمال سوريا، والحديقة الخلفية لروسيا في ناغورني قره باغ. إزاء هذا التجاذب بين ورتة إمبراطوريتين غابرتين، يتعامل "القيصر الجديد" فلاديمير بوتين بمرونة لافتة بسبب مصالحه الجيوسياسية والاقتصادية مع أنقرة التي يريد إبعادها عن الناتو، لكن محاولة "السلطان الجديد" منافسته وتسجيل نقاط في ملف حساس جنوبي القوقاز ربما تدفع سيد الكرملين إلى ردود فعل تحبط المساعي التركية قبل صحوه الولايات المتحدة من سباتها الانتخابي.

في أواخر سبتمبر الماضي، شن الرئيس الأذري إلهام علييف بتشجيع من اردوغان هجوما لاستعادة ناغورني قره باغ الإقليم الذي خسرت باكو بعد حرب بداية التسعينات من القرن الماضي، وكان الرئيس التركي يعول على إحران نجاح رمزي يتيح له التفاوض مع موسكو على مخرج أو حلول في سوريا وليبيا وكذلك ملفات الطاقة، وعندها يتفاخر أمام شعبه كي ينسى معاناته أزمة اقتصادية متفاقمة. بيد أن هذه الاستراتيجية لا تخلو من المخاطر حيث لن تسمح روسيا بحرق التوازنات وهزيمة أرمينيا خاصة أنه يمكن أن يخرج النزاع عن السيطرة وقد يؤدي إلى تصعيد التوترات مع إيران وتمدد الصراع إلى الجمهوريات الانفصالية لأوسيتيا الجنوبية وأبخازيا في جورجيا المجاورة.

ولا يمكن عدم الربط بين الاندفاع الأردوغاني جنوبي القوقاز مع مشاكل تركيا على الجبهات الأخرى إذ أن الهجوم المضاد لقوات غرب ليبيا بدعم من الرئيس التركي توقف أمام خط سرت - الجفرة، وأن معركة إدلب لم تكن لصالح القوات الموالية

